مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد التاسع / العـدد الأول
(ذو الحجة 1446هـ/ جوان 2025م)، ص 9– 22

تجليات السلوك الإجرامي في التاريخ السَّلْطَوي

" الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني الأغلبي أنموذجا"

Manifestations of Criminal behaviour During the medieval period

(Prince IBRAHIM II IBN AHMED ALGHALBI(as a model)

د / تريكي فتيحة Triki Fatiha [1]

[1] جامعة ابن خلدون (تيارت)

المؤلف المرسل: د/ تريكي فتيحة Triki Fatiha

الإيميل:fatiha.triki@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 09 /2025/02 تاريخ القبول: 22 /2025/05 تاريخ النشر: 04/06/ 2025

الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية بالقراءة والتحليل الممارسات الاستبدادية والقمعية التي أُستخدمت في فترة حكم ابراهيم بن أحمد الثاني (261-289هـ/)، حيث تُعتبر فترة حكمه من أطول الفترات في الحكم الأغلبي التي اتسمت بداياتها بحفظ الأمن وفرض الاستقرار و الاهتمام بالبنية التحتية للبلاد من خلال تشيد المنشآت العمرانية وتحصين الحصون والتنمية الاقتصادية. لتشهد فترة حكمه بعد ذلك تطور خطير في ممارسة العنف والاستبداد يصل إلى حدّ الإجرام وانتهاك صارخ للكرامة الإنسانية طال الرعيَة والأقربون له.

ممّا يوحي بتحول جذري في نفسية وشخصية الأمير إبراهيم الثاني الأغلبي أثرَّ بشكل مباشر في إدارة حكم دولته، أدتْ إلى عزله من قبل الخلافة العباسية في بغداد.

الكلمات المفتاحية: السلطة– الأغالبة– إبراهيم بن أحمد الثاني– الاستبداد– الإجرام– الأنا الأعلى– العنف– الخوف– السيطرة– النفسية.

Abstract:

This research paper discusses and analyzes the authoritarian and repressive practices employed during the reign of Ibrahim ibn Ahmad II (261-289 AH), a period considered one of the longest in the Aghlabid dynasty. His early rule is marked by the maintenance of security, the establishment of stability, and a focus on the country's infrastructure through the construction of buildings, fortifications, and economic development. However, his reign later a saw dangerous escalation in the use of violence and authoritarianism, reaching the level of criminality and blatant violations of human dignity, affecting both the common people and those close to him.

This suggests a profound shift in the psyche and character of Prince Ibrahim II, which directly influenced the governance of his state and eventually led to his dismissal by the Abbasid Caliphate in Baghdad.

Keywords: Authority- The Aglabids- Ibrahim II Ibn Ahmed - Despotism - Criminality - The Superego- Violence- Fear-Domination - Psychological

1. مقدمة:

يُعدُّ الظُلم والجبروت أحد أوجه تعسف السلطة البعيد عن القيم الإنسانية والأخلاقية، حيث تتجلى نزعة التفرد بالحكم والسعي المستمر للسيطرة المطلقة، فكلما تجاوزت السلطة حدود مشروعيتها في ممارسة القانون، تحولت إلى أداة طغيان تُمارس من خلالها أبشع أنواع القمع والقهر. إنَّ سلوكيات العنف السلطوي ليست وليدة القوة فحسب، بل هي نتيجة لذهنية جماعية سيطرت عليها خلفيات وإيديولوجيات سياسية لتاريخ ذلك العصر.

وعلى الرغم من فترات الازدهار والرقي الحضاري والاستقرار السياسي التي عرفها التاريخ المغربي في الفترة الإسلامية إلاّ أنَّه شَهِد مراحل متفاوتة من استبداد الحُكّام والسلاطين.

وقد وقع اختيارنا على شخصية ابراهيم بن أحمد الثاني الأغلبي كحالة من للظلم والتعسف غير المبررة للسلطة، ليس لأنّه أكثر دموية عبر تاريخ السلاطين، بل لأنّه يمثل نموذجا مكرّرا وعميقا في فهم وتتبع التحولات التي تحدث في طبيعة السلطة وأساليب الحكم وما يطرأ على الحكام والسلاطين من رغبة جامحة في التملك مطلق للسلطة ، ومن هنا ارتأينا معالجة الإشكالية التالية: كيف يمكن أنْ تؤثر السلطة المطلقة في تغيير طبائع البشر ؟ ما العلاقة بين تقلد السلطة والتحولات النفسية التي تطرأ على شخصية الحاكم؟

هل التغيّر الجذري في تصرفات وسلوكيات الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني يمكن اعتبارها استجابة داخلية لحالة الفوضى النفسية التي كان يعيشها بين الشك والخوف، والتي تُرجمت معانيها في تقلد السلطة من أجل قهر وظلم الآخر؟

2.ولاية إبراهيم بن أحمد الأغلبي وأهم إنجازاته (261–289هـ/ 870–902م):

تُعتبر فترة إبراهيم بن أحمد الثاني أطول فترات الحكم في عهد الدولة الأغلبية (284- 296هـ/800-909م)[1] ، فهو تاسع أمراء الأغالبة حكم ما يقارب ثمانية وعشرين عاما (261_289هـ/ 875_902م)،وعرف بالأمير الغريب الأطوار، نظرا للمراحل التي مرّت بها فترة حكمه بين القائد المحنك في تدبير شؤون دولته، وبين رجل متقلب المزاج المستبد برعيتّه ظلما وقمعا وتقتيلا حتى أصبحوا كارهين لحكمه، وبين رجل زاهد مُحب للصدقات أفنى آخر أيَّامه في الغزو والجهاد[2].

إنَّ الأمير إبراهيم الثاني لم يلق أي صعوبات في تقلد كرسي العرش، فقد جيئ به بترحيب الفقهاء والعامة، بخاصة أنَّه أحسن السيرة مع أهل القيروان لما كان واليا عليها في عهد ولاية أخيه مُحَمَّد بن الأحمد الملقب بأبي الغرانيق (249-261هـ /864-875م)[3] ، حيث قال عنه ابن خلدون "وكان عادلاً حازما فقطع البغي والفساد وجلس لسماع شكوى المتظلمين"[4].

لقد تسلمَّ إبراهيم الثاني مقاليد الحكم في وقت كان فيه الوضع السياسي والاقتصادي قاب قوسين أو أدنى من الانهيار؛ فقد واجه صعوبات خانقة في الجانب المالي إذ وجد خزينة المال شبه فارغة بسبب سياسة التبذير والإسراف التي انتهجها الأمير أبو الغرانيق، فاضطرَّ إلى ضرب حليّ نسائه إلى عملة نقدية.[5]

ولا يمكن للباحث أن يغفل الإصلاحات المالية التي أدخلها إبراهيم بن أحمد الثاني في فترة حكمه من خلال إصداره لعملة ذهبية خالصة جديدة سمَّاها العاشرية "في كل دينار منها عشرة دنانير"[6]، ليقضي بذلك على الدنانير المزيفة والمغشوشة وتقليص انتشارها، وهو إجراء اقتصادي حكيم يُسجّل لصالح الأمير إبراهيم لأن هذه السياسة تهدف إلى حفظ الاقتصاد وحماية العملة من تدهور قيمتها النقدية[7]، غير أنَّ هذه الخطوة لاقت رفضا واستنكارا قاطعين من قبل العامة وفئة التجار، لأنّها جاءت بشكل مفاجئ وبالتالي هدّدت معاملاتهم التجارية، وخلقت أزمة سيولة في المجتمع؛ إذْ من الصعب التعامل مع عملة

جديدة ولاسيّما بالنسبة للذين لديهم مدخرات وثروة كبيرة من العملة القديمة من دون المرور بمرحلة انتقالية، ومعالجة الأضرار التي تنجم عن التغيير. ونتيجة لهذا الإصلاح قامت أول ثورة عليه سنة 275هـ / 888م سميت بثورة الدَّراهم[8]، حتى أنّ إحدى الباحثات تساءلت عن إمكانية أنْ تكون الغاية من هذا الإصلاح النقدي مصادرة للأموال والثروة بغطاء قانوني[9].

اعتنى الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني بالجانب الحضاري، فقد نقل عاصمة الأغالبة من "مدينة العباسية "إلى العاصمة الجديدة " **رقادة**"[10] التي وصفت بأنّها " أكثر بلاد إفريقية بساتين وفواكه"[11]، حيث أمر ببنائها في سنة 263 هـ و انتهى منها سنة 264 هـ واتخذها "دارا لملكه"[12]، وقد عَمِلَ على تجهيزها وتزويدها بكافة المرافق حتى أضحت تنافس العباسية في الحسن والتحصين.

وقد أرجع الباحثون سبب نقل العاصمة إلى مدينة رقّادة والتي لا تبعد عن القيروان سوى بأربعة أميال لمخاوف أمنية واستراتيجية تحسُبًا لأي هجوم أو معارضة من أهل القيروان قد يُهدد استقرار حكمه[13]. وعليه يمكن القول أنّ مدينة رقّادة جمعت بين الموقع الاستراتيجي والبيئة الطبيعية التي تُسهم في ضمان السيطرة والاستقرار وازدهار النشاط الاقتصادي لدولة الأغالبة.

سار الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني على نفس نهج أخوه الأمير أبو الغرانيق الذي عُرف بالبناء والتشييد، وقد اهتم هذه الأمير بتشييد الأسوار حول المدن الساحلية لتأمين دولته من أي هجوم بحري مرتقب من قبل العدو؛ ففي فترته قام ببناء سور سوسة[14]، المزود بالمحارس والأبراج الدافعية التي كانت مهمتها المراقبة والتنبيه بخطر العدو، وفي ذلك يقول المؤرخون: "فأمنت البلاد وبنى الحصون والمحارس بسواحل البحر حتى كانت النار توقد في ساحل سبتة للنذير بالعدو فيتصل لإيقادها بالإسكندرية في الليلة الواحدة ".[15]

3.قراءة تحليلية لأساليب القمع و الاستبداد عند الأمير ابراهيم بن أحمد الثاني الأغلبي:

تجدر الإشارة إلى أنَّ الحكَّام والسلاطين على مرِّ الحِقب الزمنية قد استخدموا العنف لإظهار قوتهم، حيث مارسوا الإعدامات العلنية التي كانت تُؤتي بنتائج فورية وواضحة الأهداف، فهي ترمي إلى ترهيب المعارضين ومنع التمردات وترسيخ فكرة الطاعة للسلطة القائمة وإقرار العدالة وفرض الشرعية. إذ أنَّ "السلطة هي الوحش الكبير الذي يصنعه الإنسان، لكن قوته تتجاوز حدود الإنسان، وتجعله خاضعا لها بشكل مُطلق"[16]

تعجُّ المصنفات التاريخية بالأخبار الدَّالة على التمثيل بالجثث، ولعلَّ فترة حكم ابن الأغلب لم تحد عن هذه السياسة المعروفة لديهم وعند غيرهم، غير أنّ اللافت للانتباه في سياسة الأمير ابراهيم بن أحمد الثاني أنَّه بالغ في التنكيل بالجثث وانتهاك حرمة الموتى، وتعدّى كل القيّم الدينية والأخلاقية، حيث أقدم بمنطقة

تاورغا "فقتل بها خمسة عشر رجلاً، وأمر بطبخ رؤوسهم، مُظهرا أنّه يريد أكلها، هو من معه من رجاله، فارتاع العسكر منه، وقالوا: قد خولط، فانفضّ الناس من حوله"[17]؛ فالعبث بجثث الموتى وطبخها حساء التي تبُدي ظاهريا نوعا من الهيمنة والسيطرة، ولكنها بنفس الوقت تشي بعمق هذه التصرفات تجرد الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني من الصفات الإنسانية، وبالتالي فقدان الثقة وتقلص القاعدة الجماهرية المؤيدة لحكمه وبداية فقدان الأهلية لشخصه كحاكم عليهم ولو بعد حين.

ولعلّ من أشد درجات التعذيب التي قام بها إبراهيم بن أحمد الثاني بنفسه شقّه لقلب أحد معارضيه وإخراجه بيديه ونصبه على باب تونس، ويؤكد ذلك نص ابن عذاري الذي يروي لنا تفاصيل الحادثة بقوله: "فذبحه إبراهيم، وشقّ عن قلبه، وأخرجه بيده، وأمر أن يُقتل ببقية الأسارى كذلك، حتى أتى على آخرهم، ونُظمت قلوبهم في حبال، ونُصبت على باب تونس"[18]. إنّ الفعل الذي ارتكبه إبراهيم بن أحمد الثاني الأغلبي يُعدُّ من أقسى أشكال التعذيب، لما ينطوي عليه من انتهاك صارخ للكرامة الإنسانية، وهو ما يعكس ممارسات تتجاوز حدود العقل البشري العاقل.

يعدُّ تيري ناردين من أبرز المفكرين الذين دافعوا عن الشرعية الأخلاقية في مجال استخدام القوة والعنف؛ فهو يرى أنَّ "السلطة لا تكتسب شرعيتها فقط من خلال القانون، بل من خلال التزامها بالمبادئ الأخلاقية التي تحمي كرامة الإنسان".[19]

وكثيرا ما كانت تظهَر لنا الأنا المتعالية في شخص إبراهيم، فامتعاضه واشمئزازه من تصرفات عبيده وخدمه تُلقي بتبعاتها على الجميع، ومن ذلك أنّه حين "افتقد منديلا صغيرا كان يمسح به فمه، فأصابه خادم له، فقتل بسببه ثلاثمائة خادم"[20]، وإذا تمعناً في الصورة الباطنية لهذا التصرف نجد وكأنّ الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني يريد أن يبعث رسالة واضحة إلى من حوله تُعبر عن سلطته المطلقة بحيث لا يسمح بأي شكل من الأشكال التعدّي على ممتلكاته، حتى لو كان ذلك الشيء بسيطا جدا أو غير مقصود.

وقتله للخدم والعبيد لم يكن من باب العبث؛ فقد تكررت تفاصيل مأساتهم في كل فرصة سانحة بذلك، وكيف ولا وهو الأمير الذي يستمد قراراته من تنبؤات المنجمين؛ فقد أشار المؤرخون أنّه كان كثير القتل لعبيده ولاسيما سنة 279هـ/892م، حيث أقدم على قتل جميع فتيانه[21]؛ وسبب ذلك أنّه كان كثير الإصغاء إلى قول المنجمين والكَهنة، وقيل له إنَّه سَيقتل من قبل أحد فتيانه قليل العقل، فكان الأمير

إبراهيم إذا لاحظ أحد فتيانه يتميز بحركة مُفرطة، يتوجس منه شرا، ويقول : " هو قاتلي"؛ فيقدم على قتله دون تردد.[22]

وتكررت وقائع قتله للخدم في مناسبات متعددة حيث "أدخل كثيرا من فتيانه الحمام، وأغلق عليهم باب البيت السُخن، فماتوا فيه جميعا، وأخباره كثيرة في هذا المعنى"[23]، ولعلَّ أنسب تفسير لهذه الإعدامات الجماعية في حق الخدم ما هو في الحقيقة إلاّ هزيمة داخلية تُعبر عن خوف وقلق كبيرين وشعوره بالعجز أمام تهديداتهم المباشرة القائمة في مخيلته فقط.

لقد ارتكب الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني عددا من الأخطاء التي كان لها تأثيرات بالغة على استقرار حكمه ومصير حكم بني الأغلب من بعده؛ فمن أبرز هذه الأخطاء خوضه حربا مع أبناء رعيته، ممّا أدى إلى فتح عدة جبهات ضده، وأسهم في قيام عدة ثورات ضده ففي سنة 280 هـ/983م انتفضت كل من تونس والجزيرة والأربُس وقمودّة وخلعوا ولاءهم له، وذلك بسبب سياسته القائمة على مصادرة الخيرات من أراضي وعبيد وخيول ..إلخ، حتى وصفها ابن عذاري بقوله: " فصارت إفريقية نارا موقدة".[24]

وفي نفس السنة وقعت إحدى أفظع جرائمه حيث قيام بإبادة العنصر العربي وكسره شوكتهم، وذلك نتيجة سوء تقديره لعواقب هذا الفعل الجائر؛ فقد أقدم على قتل نخبة العرب البلديين من رجال بَلْزَمة بعد أنْ أمنهم وأسكنهم مدينة رقادة، وقد كانوا يتمتعون بالعزة والهيبة، وهم من نسل الفاتحين العرب الذين ساهموا في فتح إفريقية والاستقرار بها. إذ كان "أهل بَلْزِمَة في نحو ألف رجل من أبناء العرب والجند الداخلين إلى إفريقية عند افتتاحها وبعده"[25]، لقد أوقع بهم الغدر، وأبادهم جميعا بعد أن استماتوا في دفاع عن شرفهم وأهاليهم.

ويبدو أنّ هذا الفعل الإجرامي لم يكن مدروسا بما يكفي، حيث كان له أثر بالغ في تراجع قوة العرب وتعزيز قوة قبيلة كتامة التي فتحت الباب أمام التدخل الشيعي في المنطقة، ولا غرابة إذا قلنا أنَّ هذه الأحداث وغيرها كانت من بين الأسباب التي عجلت بنهاية حكم الأغالبة "فلمّا قتلهم (أي العرب) استطالت كُتامة، ووجدت السبيل للقيام مع الشيعي على ابن الأغلب".[26]

كما لم يسلم من شَرّ إبراهيم بن أحمد الثاني الأغلبي أي أحد حتى فئة العلماء والوجهاء، وقد بالغ هذا الأخير في اضطهادهم بالتعذيب والتسميم والسجن والتقتيل، ومن أمثلة ذلك: قاضيه عبد الله بن أحمد بن طالب بن سُفيان وحاجبه فتح[27]، كما لم يتوان عن قتله لابن عمه الأديب صاحب المؤلفات أبي العباس مُحَمَّد ابن زيادة الله بن الأغلب سنة 283هـ /896م بدافع الغيرة والحسد، وقد كان ابن عذاري بليغا ودقيقا ومختصرا في معاناة أهل إفريقية لسنة 279هـ/892م لما قال عنها "قتل إبراهيم بن أحمد من أهل افريقية من

قَتَلَ بَطَراً وشهوة"[28]، فالعبارة تعكس ببلاغة حجم الكْبر والتعالي والانحراف عن جادة الصواب، خصوصا في تصفياته لفئة العلماء بدون مبرّرات، ولا شك ما تمَّ قتله وتصفيته من أهل العلم سيجعل مجلسه موضع ازدراء ومهانة متجردا من أهل النصح والشورى له.

ولكن على ما يبدو أنّ تسلط وجبروت إبراهيم بن أحمد الثاني الأغلبي لم يتوقف فقط على رعيّته وإنما حالة سفك الدماء طالت دائرة أقربائه، وتذكر المصادر التاريخية أنّه أمر بقتل ابنه أبي الأغلب لشكّه به، ونفس المصير لقيّه أخوته الثمانية ونساءه[29]، لعلَّ من أسوء الجرائم التي ارتكبها إبراهيم بن أحمد الثاني تُجاه أسرته إصدار أوامره لخادم له بقطع رؤوس بناته حيث يقول ابن عذاري في ذلك "وكانت أمّه غذا وُلِدَتْ له ابنة، أخْفتها وربَّتها، لئلا لا يقتلها، حتى اجتمع عندها منهّن ستّ عشرة جارية، كأنّهن البدور، فقالت له يوما، وقد رأت فيه رأفة، يا سيدي قد ربيت لك وصائف ملاحا...؛فقالت هذه بنتك فلانة من فلانة وهذه بنتك من فلانة، فلما خرج من عند أمّه، قال لخادم أسود: امض إليهن وجئني برؤوسهن"[30]، فالحدث يُعبّر عن بشاعته وفظاعته على المستوى الإنساني والأخلاقي والديني والجنوح عن الفطرة السليمة .

إنّ هذه التصرفات الصادرة من شخص الأمير في حقّ أسرته يجعلنا نتصور حجم المعاناة التي كان تعيشها العامة، ومن حوله في فترة حكمه نابعة من تقلبات مزاجية حادة جدا أو اضطرابات نفسية تستدعي فهما عميقا لتطور نفسية الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني وانحرافها بهذا الشكل؛ فالنَّص يُبطن ويُظهر في الوقت نفسه ويدعو للشّك في أنَّ الأمير كانت له تجربة سابقة في التخلص من جنس الإناث اللواتي ولدن من صلبه، وإلاَّ كيف نفسّر قيَّام الأم بتربيتهن وإخفائهنّ بدون عِلْمه طوال هذه السنوات، ولم تُظهرهن إلاَّ بعد بلوغهن سنا يافعا ظنّا منها أنّ مزاج ابنها الأمير قد تحسن ليخيب حدسها فيه؛ فهو قد انعدمت عنده المشاعر والأحاسيس تُجاه الآخرين ليُرضي نزوة التفوق لديه بعدم إنجاب الأنثى، وأنَّ العرش يبقى لأبنائه الذكور ولن يلق تهديدا مستقبليا من قبل أصهاره في حالة زواجهن. ويُفسّر العالم النفساني فرويد مثل هكذا سلوكيات اللاعقلانية بانعدام الأنا الأعلى المسؤول عن مُحاسبة ومراقبة الضمير.[31]

4.تحليل السلوك الإجرامي وفق نظريات النفسية و الاجتماعية:

لتفادي الوقوع في فخّ التفسيرات العاطفية والانطباعات الشخصية، ارتأينا النظر في الموضوع بمقاربات علمية من زوايا مختلفة تُسهم في فهم وشرح أهم الأسباب لارتكاب الجريمة. وعليه فمن الضروري النظر في العوامل التي أدت إلى تنامي السلوك الإجرامية عند الأمير إبراهيم الثاني بهذا الشكل:

إنَّ التنشئة الأسرية والاجتماعية للأمير إبراهيم كان لها دور كبير في اكتساب الصفات العدوانية فهو تربَّى في أسرة جُبلت على القتل وسفك دماء رعيّتها لكثرة ريبتهم بالمحطين بهم؛ فالأمير زيادة الله ضيّق على جنده وقام بتقتيلهم وإراقة دمائهم بسبب ثورتهم على أبيه[32]. ممَّا سيكون له وقع كبير في نفسية الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني في التعود على إراقة الدماء وكأنَّ ثقافة العنف موروث أسري اختصت به أسرة بني الأغلب.

إنَّ الترف والقوة لهما دور كبير في تغيير طبائع البشر، فالترف يدفع أصحابه إلى الانغماس في الفحشاء والانصياع للشهوات، والإقبال على الدنيا. أمّا القوة إذا أسيء استخدامها فحتما ستؤدي إلى الظلم والطغيان والجبروت ممّا يُفضي إلى الانحراف عن القيّم الإنسانية والاستهتار بالدين. وقد ابتلي أمراء البيت الأغلبي بآفة شرب الخمر فهي مدعاة للذَّة والطرب ومُفسدة لضروريات الحياة ومُضعفة للعقل والفكر وجالبة لسوء الأخلاق، فعمّت حالة الفساد والمجون في أوساطهم. وكانت المجاهرة به علنا في مناسباتهم وانتصاراتهم، وكثيرا ما كانوا يفقدون السيطرة في تصرفاتهم ممّا تتعارض مع مكانتهم كأصحاب سلطة في المجتمع الأغلبي، فقد سجلت لنا المصادر مساوئ البيت الأغلبي في معاقرة الخمر، والتي كانت دافعا محفزا لارتكاب أبشع الجرائم وهم سكارى.[33]

تُشير المصادر التاريخية عَقِب هذه الحوادث المأساوية أنَّ الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني أصيب بخلل في عقله يُدعى بالمرض السوداوي أو (الماليخوليا)[34]. فالمتأمل في المصادر الطبية يدرك تماما أنّ هذا المرض سجلَّ حضوره بقوة في المجتمعات القديمة والوسيطية؛ فهو يُصيب مختلف طبقات وفئات المجتمع، والأطباء المسلمون تعرفوا عليه وصنفوه ضمن الأمراض النفسية، حتى أنّ الطبيب القيرواني إسحاق بن عمران ألف رسالة كاملة حول هذا المرض[35]، إذْ يُصاب الإنسان بأفكار رديئة وظنون، ويغلب عليه الحزن العميق والفزع والاكتئاب الشديد وخلط في الأفكار والكلام.[36]

غير أنَّ الجدير بالملاحظة أنَّ أعراض الماليخوليا التي ذكرتها المصادر، غالبا ما ارتبطت بعوامل نفسية وضغوطات يومية كالاكتئاب الحاد وفقدان الأمل والشغف بالحياة وحب العزلة؛ وهي كلها عوامل تؤثر بشكل كبير على حياة المريض وصحته العامة، وبالتالي تأثيراته المباشرة تكون على المريض نفسه وليس على

الآخرين خصوصا إذا تطور المريض إلى أفكار ووساوس انتحارية، فالمصادر الأندلسية المغربية تُوثق بمثل هكذا حالات.[37]

لا يتضمن مرض الماليخوليا أعراضا عدوانية مُفرطة تُجاه الآخرين؛ وكأنّ هذه الحالة المرضية لا تتوافق تماما مع شخصية إبراهيم بن أحمد الثاني الأغلبي الذي كان سفاكا للدماء؛ فإنْ صحت فرضية مرضه قد يكون قد عانى من مرض آخر أشدُّ خطورة من الماليخوليا.

ومن بين الأمراض النفسية العصبية الأكثر تعقيدا وتأثيراتها على سلوك الفرد ومحيطه هو داء البهتة أو المانيا، وهو نوع من الجنون تفسيره هو الجنون الهائج وداء الكلب، ويُستدل عليه بعلامات منها السهر والتفرغ والاختلاط والتوثب، والعبث الشديد، والنظر الدّال على الجرأة والإقدام، ويُعرف أيضا بالوسواس السبعي لشبهه بتصرفات السباع[38]، فمن خلال التعريف يتضح جليا أنّ مرض المانيا أو الهوس يتعلق باضطرابات تتعلق بالتصورات والتوهمات الخاطئة وبذلك تتراجع قدرات المريض في التمييز بين الواقع والخيال. وهكذا نخلص أنّ المصاب بداء المانيا غير مؤهل في اتخاذ القرارات والتمييز فيها بسبب شدة الاضطراب العقلي لديه.

فإذا كانت الصحة العقلية للأمير ابراهيم الثاني حاضرة بقوة من خلال منجزاته الحضارية والعمرانية والقرارات السيادية في شأن استقرار دولته وتوسعاتها، إلاَّ أنَّ سلوكياته العدوانية وسوء الظن المفرط بالأخرين الذي جعله يقضي على ألاف البشر من العامة والوجهاء والمقربين؛ يعكس لنا جليًّا صورة لشخصية جمعت التناقضات بين الحكمة والجنون، ولتحقيق تكامل البحث من المهم توظيف رأي الدراسات الحديثة في هذا الموضوع، حيث أشار الدارسون إلى مرض يعرف بارانويا (Paranoia) أو جنون العظمة وذلك أنّ المريض تعتريه وتتملكه معتقدات وأفكار خاطئة عن مشاعر العظمة:كالتفوق والقوة والتميز والذكاء الخارق ..إلخ أو الاضطهاد، فيشعر المريض أنّه يتعرض لمؤامرات وتهديدات من الآخرين. ومع ذلك فإنَّ المصاب رغم وجود المرض تكون "شخصيته متماسكة ومنتظمة نسبيا وعلى اتصال لا بأس به في الواقع"[39]، ولا ريب أنّ يكون الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني قد أصيب بمرض جنون العظمة أو بارانويا الذي تغذى وتعززَّ بمركز القوة الذي تقلّده، فأصبحت قراراته وسلطته متأثرة بضلالته تلبي رغبات جامحة في السيطرة المطلقة.

في مرحلة متأخرة من حكم الأمير إبراهيم، كانت صورة التراجع والانهيار واضحة المعالم. فقدْ فَقَدَ السيطرة على معظم أراضيه، وبقيت له فقط السيادة على الساحل الشرقي وصولاً إلى طرابلس، ولإحكام سيطرته على ما تبقى من سلطانه، لجأ إلى تحصين مدينته رقّادة من خلال حفر خندق عظيم حولها ونصبها بأبواب من حديد مع حراسة مشددة من جنود السودان المقدر عددهم بعشرة آلاف[40]، وهذا الفعل يعكس جليا حالة الخوف والذعر التي وصل إليها الأمير إبراهيم مع فقدان الثقة بالآخرين، فتحصينه لمدينته خوفا من تهديد رعيته، ما هو في الحقيقة إلاّ عزل لشرعيته السياسية أمام العامة .

5.صحوة واستقامة إبراهيم بن أحمد الأغلبي في آخر حياته:

اختلفت الروايات التاريخية في سبب استقامة إبراهيم وعودته إلى رشده؛ فتأرجحت بين من يفسرها بالوازع الديني وأنَّه قصد بذلك التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، وبين الرضوخ لأوامر الخليفة العباسي المعتضد لكثرة الشكاوى عليه من قبل رعيته، فقد جاء في رواية ابن عذاري "وفي سنة 289 هـ أظهر صاحب إفريقية إبراهيم بن أحمد التوبة لما استقام أمر أبي عبد الله الداعي بكتامة، فأراد إبراهيم بن أحمد أنْ يستميل قلوب الخاصة بفعله"[41]، في حين رواية ابن خلدون يقول فيها نقلا عن الرقيق : "وفي سنة 288هـ قدم رسول المعتضد بعزل الأمير إبراهيم لشكوى أهل تونس به فاستقدم ابنه العباس من صقلية وارتحل إليها مُظهرا الغربة والانتجاع".[42]

يبدو من خلال المعطيات التي قدّمتها المصادر أنّ شرعية الحكم لإبراهيم بن أحمد الثاني الأغلبي بدأت تتدهور وتتلاشى بمرسوم رسمي من السلطة المركزية في بغداد؛ في ظل التفاف العامة نحو شخصية أبي عبد الله الشيعي الذي أصبح موضع ثقة وخلاص لمعانتهم التي دامت لسنوات عديدة. وقد أكدَّ الباحث تيري ناردا بالقول على أنَّ السلطة "التي لا تخضع للمساءلة والمراقبة الأخلاقية تتحول إلى قوة قمعية تفقد مشروعيتها مع مرور الوقت".[43]

لم يكتف إبراهيم بن الأغلب في الامتثال لأوامر الخليفة المعتضد واعتزاله الحكم، بل سعى إلى إصلاح أفعاله السابقة من خلال الإكثار من عمل الخير وإعطاء كل ذي حقٍّ حقَّه، وأدخل عدة إصلاحات وتعديلات في سياسته حتى سميت بسنة العدول حيث ردَّ المظالم، وأسقط الضرائب غير المشروعة على رعيّته، واكتفى بأخذ العشر فقط، وسمّاها سنة العدول، وأعتق عبيده، ووهب الهبات الأموال للفقهاء ووجهاء القيروان من أجل توزيعها على الفقراء والمساكين[44]، وسلك سبيل الزهاد وتزيَّا بزيّهم، وارتحل عن عاصمته رقّادة التي شيدّها واتخذَّ من صقلية مربطا للجهاد ليتوفى وهو محاصرا لمدينة كنسة سنة 289هـ/ 902م .[45]

إنَّ القارئ لهذه النهاية يطرح في ذهنه عدة تساؤلات: هل ابراهيم بن الأغلب كان يرتدي ثوب الجنون لتحقيق رغبته في الهيمنة والقمع؟ هل عاد الاتزان النفسي لشخصه بمجرد ابتعاده عن ضغوطات السلطة، هل هو تصالح مع ماضي مستبد وعودة صحوة الضمير لشخص يأمل في عودة ذاته على سابق عهدها؟ هي تساؤلات فلسفية تفرض نفسها من أجل تأمل النفس البشرية عندما تُصاب بالكِبر والعلياء في ظل السيطرة والقمع وبين انكسارها وفقدانها ورغبتها في ترميم ذاتها بالندم والتكفير عن الخطايا بالعودة إلى طريق التدين.

6.الخاتمة: من خلال عرض ما سبق، خَلُصنا إلى مجموعة من النتائج التي تسلط الضوء على البعد النفسي والسياسي في تقلد السلطة، يمكن عرضها في النقاط التالية:

ـ السلطة سلاح ذو حدين، فبينما هي تكليف لمراعاة المصلحة العامة، قد تتحول وتتطور إلى آداة قمعية تمارس أقسى درجات الجبروت و الانتهاك لإصابة متقلديها بالهاجس السَلْطَوي.

ـ ممارسة الإجرام السلطوي يُعدُّ مظهرا من مظاهر القوة، في حين يخفي باطنه هشاشة لا تلتئم من الذل و المهانة المتجردة من الإنسانية.

ـ شَهِدتْ شخصية الأمير إبراهيم بن أحمد الثاني تحولا جذريا بمجرد اعتزاله السلطة من خلال استعادة توازنه النفسي والعمل في طريق البرّ والجهاد؛ ممّا قد يُفسر أنَّ تبنيه للسلوك الإجرامي مَنوط بالسياق السلطوي أكثر من كونه اضطراب نفسي مرضي.

ـ تُصاب النفس البشرية بالضلال والانحراف عن المسار الصحيح نتيجة تملك الجاه والنفوذ والسلطة المطلقة، لكن سرعان ما تعود تلك النفس إلى فطرتها السليمة بزوال تلك المغريات وللدين دور في تهذيبها وإعادة توازنها الروحي.

7. الهوامش:

[1] تأسست الدولة الأغلبية على يد مؤسسها إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي سنة 184هـ بمباركة الدولة العباسية، أشرف على حكمها إحدى عشر أميرا، امتدت حدودها من طرابلس شرقا إلى إفريقية (تونس حاليا) وصولا الجزء الشرقي للمغرب الأوسط وهو إقليم الزاب شرق الجزائر حاليا، كما بسطت نفوذها على الواجهة البحرية لشمال إفريقيا وأحكمت السيطرة على جزيرة صقيلية ومالطا وسردينيا ممّا جعلها قوة بحرية وتجارية بارزة ، حيث شهدت الدولة بفترة من الإستقرار السياسي و الإزدهار الاقتصادي والثقافي، كما شهد حكم دولة الأغالبة نهوضا عمرانيا حيث اهتم أمرائها بتأسيس المدن وإنشاء القصور و المساجد كإعادة بناء مسجد القيروان، وبناء جامع الزيتونة؛ فضلا عن اشتهارها بتطوير شبكة الري وبنائها العديد من المواجل كالماجل الكبير الذي أنشأه الأمير أبو العباس مُحَمَّد بن الأغلب سنة 256 على باب تونس. كما اهتم الأغالبة بالنشاط البحري، فكانت لهم حملات بحرية توجت لفتح صقلية سنة 212هـ/ 827م. غير أنَّ الضعف الداخلي الذي حلَّ بالدولة في أواخر عهدها انتهى بها إلى السقوط على يد الفاطميين سنة 296هـ- 909م/ أبو عبد الله مُحَمَّد ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، تحقيق ج.س كولان وإ. ليفي بروفنصال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009، ج1.ص 101./ لمراجعة تفاصيل تاريخ دولة الأغالبة يُنظر: محمود إسماعيل، **الأغالبة سياستهم الخارجية** (184-296هـ)، عين شمس للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دار ، القاهرة، ط3، 2000م.

[2] حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، ط12، 2015، ص 106.

[3] ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب**، ج1، ص 116.

[4] عبد الرحمن بن مُحَمَّد الإشبيلي التونسي المالكي المعروف بابن خلدون ، **العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن والسعودية، د.ت، ص 1026.

[5] ابن عذاري، **مصدر سابق** ، ج1، ص 119 . الطالبي، **الدولة الأغلبية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط2، 1995، ص 315. دلال لواتي، **عامة القيروان في عصر الأغالبة**، دار الرؤيا للتوزيع والنشر، مصر، 2015، ص 391.

[6] ابن عذاري، **مصدر سابق** ، ج1، ص 121.

[7] الطالبي، **الدولة الأغلبية**، ص304. صالح بن قربة، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 238.

[8] ابن عذاري، **مصدر سابق**، ج1، ص 120.

[9] دلال لواتي، **مرجع سابق**، ص 589.

[10] وصفت مدينة رقادة بطيب الهواء و التربة ، وسبب تسميتها بهذا الاسم أنّ أحد من بني الأغلب أرق وشرد عنه النوم أياما فعالجه الطبيب إسحاق بن عمران، فنصحه بالخروج و المشي، فلما وصل إلى الموضع رقادة نام، فسميت من يومئذ بهذا الاسم، واتخذها إبراهيم بن احمد الثاني دار وموطنا له، انتقل إليها من مدينة القصر الجديد، وبنى بها قصورا عجيبة وجامعا، وعمرت بالأسواق و الحمامات و الفنادق، ولم تزل بعد ذلك دار ملك بني الأغلب إلى أنْ هرب عنها زيادة الله من أبي عبد الله شيعي، وسكنها عبيد الله إلى أنْ انتقل إلى المهدية سنة 308هـ/ 920م/ أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن مُحَّد البكري، **المسالك و الممالك**، تحقيق جمال لبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002، مج2، ص .200

[11] مُحَّد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1979، ص 271.

[12] أبو عبد الله الشبخ مُحَّد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بأبي دينار، **المؤنس في أخبار أفريقية نونس**، مطبعة الدولة التونسية، ط1، 1386هـ، ص 49.

[13]وفاء أحمد مصطفى، **مدينة رقّادة التاريخية دراسة في النشأة والتطور**، مجلة أبحاث، كلية التربية الأساسية، مج 18، ع4، 2022، ص 564.

[14] ابن خلدون، **مصدر سابق**، ص 1026.

[15] عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن مُحَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، 1966،ج6، ص 256. ابن خلدون، **مصدر سابق**، ص 1026.

[16] جوده مُحَّد إبراهيم أبو خاص، **المنظور الفلسفي للسلطة عند ميشيل فوكو**، دراسة في الفلسفة السياسة والاجتماعية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط1، 2017، ص 26.

[17] ابن عذاري، **مصدر سابق**، ج1، ص 130.

[18]**نفسه**.

[19] Terry Nardin ,The Moral Basis of Humanitarian Intervention, Ethics and International Affairs, 2002, p 11-26

[20] ابن عذاري، **مصدر سابق**، ج1، ص 132.

[21] المصدر نفسه، ج1، ص 123.ابن خلدون، **مصدر سابق**، ص 1030.

[22] ابن عذاري، **مصدر سابق** ، ج1، ص 123

[23] المصدر نفسه،ج1، ص 133.

[24] **نفسه**.

[25] **نفسه**.

[26] ابن عذاري، **مصدر سابق** ، ج1، ص 133

[27] **نفسه.**

[28] **نفسه.**

[29] **نفسه.** ابن خلدون، **مصدر سابق،** ص1030

[30] ابن عذاري، **مصدر سابق** ، ج1، ص 133.

[31] – Ritchie Roberto, Le problème de la violence chez Canetti,Freud et Konrad Lorenz, Austriaca , Presse de L'Académie Décembre, Numéro 61,2005,p 69.

[32] ابن عذاري، **مصدر سابق** ، ج1، ج1، ص 96.

[33] نف**سه.**

[34] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 1030.

[35] اسحاق ابن عمران، **مقالة في مالخوليا،** تحقيق عادل العمراني و الراضي الجازي، المجمع التونسي للعلوم و الآداب في الفنون، تنوس، 2009.

[36] الخوارزمي، **مفاتيح العلوم،** ص96. اسحاق بن عمران، **مصدر سابق،** ص 30.

[37] أبو العباس أحمد بن مُحَمَّد ابن القاضي المكناسي ، **درة الحجال في أسماء الرجال،** تحقيق مُحَمَّد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1981، ج3، ص105.

[38] ابن هبة الله، **المغني في الطب،** ص48. الزهراوي، **التصريف لمن عجز عن التأليف،** المقالة الثانية، ص157.

[39] رشيد حميد زغير، **الصحة النفسية والمرض النفسي والعقلي،** دار الثقافة، عمان، ط1، ص 2010، ص 281 . مدحت وليم يني، **خصائص رسوم المطربين بالبارانويا لدى عينة من الجنسين في مرحلة المراهقة،** جمعية أمسيبيا، مصر، 2019، ص 122.

[40] ابن عذاري، **مصدر سابق،** ج1، ص 123.

[41] **المصدر نفسه،** ج1، ص 131.

[42] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 204

[43] Terry Nardin ,The Ethics of War and Peace: Religious and Secular Perspectives, Princeton University Press, United States,1996, p 63, 176.

[44] ابن عذاري، **مصدر سابق،** ج1، ص 121.

[45] ابن الأثير، **مصدر سابق،** ج6، ص 05. ابن خلدون، **مصدر سابق،** ص 1030.